@ 176 @ أبيح لها أن تقول ما أُمَرِت بقوله وهو قول الجمهور . وقالت فرقة : معنى { فَقُولِى } أي بالإشارة لا بالكلام وإلاّ فكان التناقض ينافي قولها انتهى . ولا تناقض لأن المعنى { فَلَنْ أُكَلّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } بعد { قَوْلِي } هذا وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يد عليه المعنى ، أي { فَإِمّا تَرَيِنّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً } وسألك أو حاورك الكلام { فَقُولِى } . .

وقرأ زيد بن عليّ صياماً وفسر { صَوْماً } بالإمساك عن الكلام . وفي مصحف عبد ا صمتاً . وعن أنس بن مالك مثله . وقال السدّي وابن زيد : كانت سنة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام انتهى . والصمت منهي عنه ولا يصح نذره . وفي الحديث : (مره فليتكلم) . وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق وأمرت بنذر الصوم لأن عيسى بما يظهر ا عليه يكفيها أمر الاحتجاج ومجادلة السفهاء . وقوله { إِنسِيّاً } لأنها كانت تكلم الملائكة دون الإنس . .

{ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُواْ يامَرْيَمُ * مَرْيَمَ * لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً * يأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمّكِ بَغِيّاً * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلّمُ مَن كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنّى عَبْدُ اللّهِ ءاتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيّاً * وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِى بِالصّلَواةِ وَالزّكَواةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبّاراً شَقِيّاً * وَالسّلامُ عَلَىّ يَوْمَ وُلِدْتّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً } . .

{ فَأَتَتْ بِهِ } قيل إتيانها كان من ذاتها . قيل : طهرت من النفاس بعد أربعين يوماً وكان ا تعالى قد أراها آيات واضحات ، وكلمها عيسى ابنا وحنت إلى الوطن وعلمت أن عيسى سيكفيها من يكلمها فعادت إلى قومها . وقيل : أرسلوا إليها لتحضري إليها بولدك ، وكان الشيطان قد أخبر قومها بولادتها وفي الكلام حذف أي فلما رأوها وابنها { قَالُواْ } قال مجاهد والسدّي : الفري العظيم الشنيع . وقرأ أبو حيوة فيما نقل ابن عطية { فَرِيّاً } بسكون الراء ، وفيما نقل ابن خالويه فرئاً بالهمز ، و { هَارُونَ } شقيقها أو أخوها من أمّها ، وكان من أمثل بني إسرائيل ، أو { هَارُونَ } أخو موسى إذ كانت من نسله ، أو رجل صالح من بني إسرائيل شبهت به ، أو رجل من النساء وشبهوها به أقوال . والأولى أنه

أخوها الأقرب . وفي حديث المغيرة حين خصمه نصارى نجران في قوله تعالى { فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ } والمدة بينهما طويلة جداً فقال له الرسول : (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم) . وأنكروا عليها ما جاءت به وأن أبويها كانا صالحين ، فكيف صدرت منك هذه الفعلة القبيحة وفي هذا دليل على أن الفروع غالباً تكون زاكية إذا زكت الأصول ، وينكر عليها إذا جاءت بضد ذلك . .

وقرأ عمر بن لجا التيمي الشاعر الذي كان يهاجي جريراً { مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْء } لجعل الخبر المعرفة والاسم النكرة وحسن ذلك قليلاً كونها فيها مسوغ جواز الابتداء وهو الإضافة ، ولما اتهموها بما اتهموها نفوا عن أبويها السوء لمناسبة الولادة ، ولم ينصوا على إثبات الصلاح وإن كان نفي السوء يوجب الصلاح ونفي البغاء يوجب العفة لأنهما بالنسبة إليهما نقيضان . روي أنها لما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك . وقيل : هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها . .

{ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ } أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه . وقيل : كان المستنطق لعيسى